

الأنماط والعوامل التمكينية والمُعيقات التي تحول دون مُشاركة المُراهقين/ات في الأزمات المُمتدَّة

دراسة حالة لحرية حركة المراهقين/ات وإمكانية الوصول الآمن إلى الأماكن العامة في قطاع غزة

بسّام أبو حمد، رياض دياب، أمل أبو مر

مُلخص

يواجه المراهقون/ات والشباب/ات الذين ينشؤون في فلسطين عنفاً سياسياً ونفسياً وقيوداً شديدة على حركتهم بشكلٍ منتظم. استناداً على البحوث التشاركية والمُختلطة الأساليب التي أُجريت مع المراهقين/ات في غزة، فلسطين، تعكس دراسة الحالة هذه واقع فرص المشاركة اليومية للمراهقين/ات. إن قدرة الشباب/ات على التنقل بأمان والوصول إلى أماكن مختلفة تتوسطها عوامل العنف الهيكلي والفقر المادي. وتتشكل هذه القيود بدورها من خلال أوجه عدم المساواة بين الجنسين، حيث تحد القيود الاجتماعية المفروضة على حريتهم من فرصهم في المشاركة في أنشطة الحياة العامة. وتواجه المراهقات في غزة قيوداً اجتماعية بشكل أكبر من الفتيان، كما أن حرية التنقل والمشاركة لديهن تُعتبر محدودة للغاية. وعلاوةً على ذلك، فإن الخدمات المتاحة لتعزيز مشاركة المراهقين/ات محدودة وقصيرة الأجل وتعتمد عادةً على تواجدهم المعونات الخارجية. وينبغي ألا تركز البرامج فقط على تلبية الاحتياجات الإنسانية العاجلة لسكان غزة، بل ينبغي أن تُيسر أيضاً حقوق المراهقين/ات في المشاركة.

مُقَدِّمة

تتعلق المشاركة بالأطلاع الكافي والاندماج النشط والقدرة على إبداء الرأي في القرارات التي تؤثر على حياة المرء - في المجالين الخاص والعام (اليونيسف، ٢٠٠٢). يُعدُّ استكشاف المشاركة خلال فترة المراهقة أمراً بالغ الأهمية لأنَّ هذه المرحلة من الحياة تتميز بظهور

الشعور بالهوية - عند الشباب/ات - واكتساب مسؤوليات جديدة (بما في ذلك القدرة على ممارسة الحقوق)، والانفتاح أمام الفرص والمخاطر الناشئة (المرجع نفسه). ولهذا الأمر أهمية خاصة في السياقات والمناطق المتأثرة بالنزاع الذي طال أمده مثل غزة، وذلك بسبب المخاطر الأكبر ومواطن الضعف متعددة الأوجه التي تواجه المراهقين/ات في هذه السياقات وخلال هذه الفترة التي تخضع لتحول محوري في دورة الحياة. ومع ذلك، فإن الأدلة على قدرات المراهقين/ات في غزة - حيث يشكلون ٢٢٪ من السكان (صندوق الأمم المتحدة للسكان (UNFPA)، ٢٠١٢) - محدودة، لا سيما فيما يتعلق بمشاركة الفتيات (بيتيت وآخرون ٧١٠٢). هناك أيضًا فهمٌ محدودٌ لتمطيد مشاركة المراهقين/ات في السياقات المتعلقة بالمواطنين والمتأثرة بالنزاع الذي طال أمده مثل غزة، حيث يواجه المراهقون/ات تحدياتٍ متعددة الأوجه. ولذلك فإن إجراء تحليل متعمق لنمط مشاركة المراهقين/ات في غزة هو أمرٌ طال انتظاره.

يستكشف هذا الفصل أهامط قدرة المراهقين/ات على ممارسة حقهم في صنع القرار من أجل تحقيق المشاركة الهادفة - ولاسيما قدرتهم على التنقل بحرية والوصول إلى الأماكن العامة. ويستكشف أيضًا العوامل التمكينية والحواسر التي تحول دون قدرتهم على المشاركة الفعالة في مجتمعهم. من خلال استكشاف التجارب المعاشة للمراهقين/ات، نقدم أفكارًا/بصائرٍ يمكن أن تُساعد المُكَلِّفِينَ بالواجب والمسؤولين والمحللين وصانعي السياسات والجهات الفاعلة الاجتماعية على النظر في كيفية قيام السياسات والبرامج في السياقات الهشة والمتأثرة بالنزاع بدعم الفتيات والفتيان المراهقين بشكل أفضل لزيادة مشاركتهم وإدماجهم في عمليات صنع القرار.

خَلْفِيَّة

تعتبر غزة مكان فريد لدراسة مشاركة الشباب/ات. وقد شهدت هذه المنطقة فترة طويلة من النزاعات والحصارات التي ساهمت في تقييد حرية حركة الأشخاص والبضائع، مع نوبات من العنف الشديد التي أدت إلى تفاقم الآثار السلبية على المراهقين/ات والشباب/ات، وتعرضهم لصدمات جسدية ونفسية بشكلٍ مُتكرِّر. يواجه المراهقون/ات في غزة عنقًا جسديًا ونفسيًا ذا أصولٍ سياسية بشكلٍ منتظم في مكانٍ لا توجد فيه مساحاتٌ آمنة، ولا ملاجئٍ من القنابل، ولا أجهزة إنذار ولا أنظمة تحذيرية، ولا ملاءً يُفرون إليه حيث أن جميع الحدود مغلقة.

نتيجةً للنزاع المُستمر، فإنه - منذ عام ٤١٠٢ - قد قُتل ٦٦٧ طفلًا و١٤٥ امرأة وأصيب حوالي ٥٦١،٨١ طفلًا وامرأة - أو أصيبوا بإعاقة دائمة (وزارة الصحة الفلسطينية، ٢٠٢٢). في العدوان الأخير على غزة (في عام ١٢٠٢)، قُتل ٦٦ طفلًا و١٤ امرأة وأصيب ٥٨٦ طفلًا و٨٤ امرأة (وزارة الصحة الفلسطينية، ١٢٠٢). أفادت جميع الأسر تقريبًا في غزة (٥٩٪ من إجمالي عدد الأسر) بأنها تعرّضت بشكلٍ مباشر للعنف السياسي خلال الاحتلال الإسرائيلي (أبو حمد، ١٢٠٢). ويُنسب ذلك في الغالب إلى العنف السياسي والعنف الجنسي، حيث أفادت ٥٤٪ من الفتيات في غزة - اللواتي تتراوح أعمارهن بين ٥١ و٩١ عامًا - بأنهن يشعرن بعدم الأمان عند المشي بمفردهن بعد حلول الظلام (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (PCBS)، ١٢٠٢) وأفادت ٦٢٪ منهن بأنهن لم يقمن بالمشي بمفردهن بعد حلول الظلام. ويمتد هذا الشعور بعدم الأمان إلى منازلهن، حيث تشعر ٤٢٪ من الفتيات اللواتي تتراوح أعمارهن بين ٥١ و٩١ عامًا بعدم الأمان لوجودهن بمفردهن في المنزل بعد حلول الظلام (المرجع نفسه). أشار استبيان للشباب/ات - الذي أجراه الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (٦١٠٢) - إلى أنه في الأشهر الـ ٢١ الماضية، أفادت ٦٢٪ من الفتيات في غزة بتعرضهن للتحرش. يتعرض الأولاد أيضًا للتحرش الجنسي - أفاد ٤٪ من الشباب/ات الذكور بأنهم تعرضوا للتحرش الجنسي عندما كانوا أطفالًا (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ٩١٠٢). ويُشير المصدر نفسه إلى أنه في الأشهر الـ ٢١ الماضية، تعرض ٢٣٪ من المراهقين/ات في غزة للعنف في الشوارع، و٤٣٪ منهم تعرضوا للعنف في المدارس.

تعتبر غزة سياق بحثي مثير للاهتمام من منظور النوع الاجتماعي. تتحکم الثقافة المُحافظة بشدة - مع المعايير القبليّة والأبويّة الصارمة - في الأدوار الخاصّة الذكور والإناث، مع استبعاد الصغار والنساء والفتيات عادةً من المشاركة في الأنشطة العامة (صندوق الأمم المتحدة للسكان (UNFPA)، ٦١٠٢). تُقيّد المعايير الاجتماعية والثقافية السائدة بشكلٍ كبير قدرة المراهقين/ات (وخاصة الفتيات) على التحرك بحرية، والمشاركة في الأنشطة الإنتاجية خارج منازلهم، وممارسة قدرتهم على اتخاذ القرارات بشأن خيارات الحياة الرئيسية (جونز وأبو حَمَد، ٦١٠٢). يتقاطع هذا النقص في القدرة على إبداء الرأي وصنع القرار مع أوجه الضعف الأخرى مثل التحديات النفسية والاجتماعية

والاقتصادية والصحية (اليونيسف، ٢٠١٢؛ تحالف فريق أبحاث النوع الاجتماعي والمُراهقة: دليل عالمي (GAGE)، ٢٠١٢). وبسبب هذه التحديات المعقّدة، فإن فرص الشباب/ات للمشاركة في الأنشطة المدنيّة غالبًا ما تكون ضئيلة للغاية. أظهر مسح للشباب/ات (الذين تتراوح أعمارهم بين ٥١-٩٢ سنة) قام به الجهاز المركزي للإحصاء في فلسطين (PCBS) عام ٢٠١٢ أنّ ٦١٪ فقط من الشباب الذكور و٢٢٪ من الشابات أبلغوا عن مشاركتهم في المنظمات المدنيّة أو الثقافية، وأنّ ٤٤٪ فقط من الشباب الذكور و٦١٪ من الشابات شاركوا في الاتحادات/التقابات، وأنّ ٤١٪ فقط من الشباب الذكور و٨،٠٪ من الشابات شاركوا في النوادي الرياضية. علاوةً على ذلك، أفاد ٢٤٪ فقط من الشباب الذكور و٦٠٪ من الشابات بأنهم ينتمون إلى حزبٍ أو ائتلاف غير سياسي (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (SBCP)، ٢٠١٢). وعلى الرغم من أنّ ٠٣٪ من الذكور شاركوا في الأنشطة التطوعية، إلا أنّ ٣٣،٣١٪ فقط من الشابات شاركن في الأنشطة التطوعية. وفيما يتعلق بإمكانيات الوصول الرقمي، أفاد ٢٢٪ من الشباب الذكور و١٠٪ فقط من الشابات من مستخدمي الإنترنت بأنهم قاموا بالوصول للإنترنت في مقهى (المراجع نفسه).

تنص مواد قانون الطفل الفلسطيني على أن «للطفل الحق في الحصول على جميع أنواع المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها ونشرها، شريطة ألا يتعارض ذلك مع النظام العام والآداب العامة» (السلطة الفلسطينية، ٢٠٠٢). انضمت فلسطين إلى اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل في عام ٢٠١٢ (الأمم المتحدة، ١٩٠٢)، ولكن لم يتم فعل الكثير لفرض ممارسة الحقوق التي تم التعمّد بتطبيقها. كما أنّ العديد من القوانين الفلسطينية لا تتوافق مع مبادئ حماية الطفل (على سبيل المثال، تسمح بعض تلك القوانين بالإساءة الجسديّة للأطفال من قِبَل والديهم) (أبو قطيش، ١٩٠٢). في غزة، على الرغم من توفّر بعض إشارات العمل القانونيّة الداعمة والمبادرات المتنوعة من قِبَل منظمات المجتمع المدني (CSOs) لتعزيز مشاركة الشباب/ات خارج المجال الأسري، إلا أنّ مشاركتهم لا تزال محدودةً للغاية (بيتيت وآخرون، ٢٠١٢).

العينة والأساليب البحثية

يعتمد هذا الفصل على نتائج البحوث التشاركية المُختلطة التي أُجريت في قطاع غزة في عامي ٢٠١٢ و٢٠١٢ كجزء من دراسة النوع الاجتماعي والمراهقة: دليل عالمي (GAGE). قمنا بالاعتماد على نتائج مشروع بحثي عملي وتشاركي - في خانيونس (٢٠١٢) - شارك فيه ٥٣ مراهقًا من الملتحقين في برنامج تمكين تم تنفيذه في جمعية الثقافة والفكر الحر، والذي تضمّن أنشطة المهارات الحيّاتية مثل الرياضة والموسيقى والفنون والدعم النفسي والاجتماعي وجلسات علميّة. أجرى المشاركون المراهقون في مشروع البحث العملي التشاركي مقابلات مع الأقران ومقابلات تجمع بين أجيال متعددة من أفراد الأسرة، وقاموا بالتصوير الفوتوغرافي التشاركي. في عام ٢٠١٢، أجرينا أيضًا تمرينًا تضمّن رسم خرائط لآماكن تقديم الخدمات وتم عقّد ٠٧ مقابلة مع مقدّمي المعلومات الرئيسيّين (KIIs) و٧٠١ مراهق/ات (باستخدام وحدة QuickTapSurveyTM التفاعلية التي تعتمد على الجهاز اللّوحي). وتم استكمال تلك الأنشطة ببحث نوعي مع المراهق/ات وأقرانهم وعائلاتهم. وشملت تلك المقابلات ٢١ مناقشة جماعية مُركّزة (FGDs) و٥٣ مقابلة فردية مُعمّقة (IDIs). إجمالاً، تحدّثنا مع ٩٣٢ مراهقًا/ة (تتراوح أعمارهم بين ٠١ و٩١ عامًا) - ٢٣١ فتاة و٩٠١ فتى - بالإضافة إلى ٥٣ مراهقًا/ة قاموا بالمشاركة في مشروع البحث العملي التشاركي (٢١ فتى و٣٢ فتاة تتراوح أعمارهم بين ٥١-٩١ سنة).

استخدمنا النهج الهادف/المُستهدف في أخذ العينات لضمان مزيج جيد من المشاركين من خلفيات اجتماعية واقتصادية مختلفة - من ذلك المراهق/ات الملتحقين بالمدارس والمراهق/ات المتسربين من المدارس والأُمّهات المراهقات، والمراهق/ات المتأثرين بالنزاع بشكل مباشر -، والأيتام، والمراهق/ات من ذوي الإعاقة. تم إجراء البحث في ثلاث مناطق مختلفة: مخيم جباليا للاجئين، وحي الشجاعية في محافظة غزة، ومحافظة خانيونس.

تألّف فريق البحث من خمسة باحثين محلّيين (٣ ذكور و٢ إناث) والتزموا بتدابير أخلاقية صارمة أثناء جمع البيانات. تمّت ترجمة جميع نصوص المقابلات ومن ثمّ تمّ ترميزها وتحليلها حسب السّياق. ومن أجلّ تيسير عملية الترميز، عُقدت جلسات مُتعمّقة لاستخلاص المعلومات ومن ثمّ مناقشة النتائج الواردة والمواضيع الرئيسيّة. بعد ذلك، تمّ ترميز النصوص باستخدام برنامج MAXQDA 12؛ تمّ تجميع النتائج أولًا حسب الأداة، ثم بشكل جماعي عبر جميع الأدوات.

النتائج والمناقشات

العوائق التي تحول دون مشاركة المراهقين/ات

يساعد الوصول الآمن إلى الأماكن العامة الشباب/ات على أن يصبحوا أكثر استقلالية. كما ويزيد شعورهم بالأمان ويساعدهم على تلبية احتياجاتهم للتفاعل الاجتماعي والتعبير عن الذات، والمشاركة بشكل هادف في الأنشطة المدنية. وبشكل عام، تُشير النتائج التي توصلنا إليها إلى أنه على الرغم من التقدم الذي تم إحرازه مؤخرًا، لا يزال المراهقون/ات في غزة يواجهون قيودًا هائلة على حركتهم بسبب عوامل هيكلية وسياسية — بالإضافة إلى التسلسل الهرمي للعمر والنوع الاجتماعي والأعراف الاجتماعية التمييزية التي تلعب دورًا كبيرًا أيضًا في تقييد تحركاتهم.

العنف المرتبط بالعوامل السياسية

تشير النتائج النوعية التي توصلنا إليها إلى أن الحصار الإسرائيلي وانعدام الأمان والعنف السياسي والصراع المستمر يحد من حرية حركة جميع سكان غزة. بمن فيهم المراهقين/ات. أفاد المراهقون/ات أن والديهم وإخوتهم الأكبر سنًا يقلقون على سلامة أطفالهم وبالتالي يمنعونهم من الخروج: « قَلِقَ أبؤانا على سلامتنا وبالتالي منعونا من مغادرة المنزل، ومنعونا أيضًا من الذهاب إلى الجمعيات [التي تُقدّم برامج التمكين]» (مُشارك في مناقشة جماعية مركّزة، الأولاد الأكبر سنًا، الشجاعة). ووصفت شابة تبلغ من العمر ٩١ عامًا في مخيم جباليا التهديدات الحقيقية التي يواجهها الأطفال والمراهقون/ات: «أصببت يدي في الصراع الأخير عندما كنت ألعب مع الأطفال الآخرين في الحي وقصّف الإسرائيليون منزل جارنا. سقط حجر كبير على يدي وكسرها». وأشير إلى أن الحصار المفروض على غزة هو سبب آخر يمنع المراهقين/ات من الخروج، كما أوضحت شابة تبلغ من العمر ٩١ عامًا من خانينوس: «أنا أحمل نموذجًا يمثل الكرة الأرضية. كتبت كلمة «حصار» على اليد اليسرى وكلمة «حرية» على اليد اليمنى. كما أنني أرثدي سوارًا يحمل شعار «حرروا غزة». لقد فعلت ذلك لأنني بحاجة إلى إخبار الناس بأننا بحاجة إلى الحرية وإمكانية التنقل وحقنا في السفر».

الأعراف الاجتماعية التقييدية القائمة على التسلسل الهرمي للعمر والنوع الاجتماعي

يلعب التسلسل الهرمي الصارم للعمر والنوع الاجتماعي - الشائع في جميع أنحاء منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا - دورًا هامًا في تشكيل طرق مشاركة المراهقين/ات في غزة. وتترك مساحة صغيرة للشباب/ات (وخاصة الفتيات) لاتخاذ قرارات مستقلة بشأن حياتهم (صندوق الأمم المتحدة للسكان (UNFPA)، ٢٠١٢). على الرغم من أن الفتيات والفتيات - على حد سواء - يواجهون قيودًا على حركتهم، إلا أن تجاربهم تختلف اختلافًا كبيرًا حسب النوع الاجتماعي. فالفتيات المراهقات - المُقيّدات بسبب المعايير الجنسانية الصارمة - لا تُتاح لهنّ سوى فرص ضئيلة جدًا عندما يتعلق الأمر بحرية التنقل والمشاركة في مختلف الأنشطة. بينما يُسمح للأولاد بمزيد من الحرية، لكنهم ما زالوا يواجهون قيودًا بسبب التسلسل الهرمي العمري. وتخضع حرية تنقل الفتيات خارج الأسرة - إلى حد كبير - إلى السيطرة من قبل آبائهن أو أشقائهن الأكبر سنًا الذين يميلون إلى الإفراط في الحماية» لضمان سلامتهم الجسدية — ويفعلون ذلك أيضًا لصون سمعة الأسرة وشرفها. وقالت فتاة تبلغ من العمر ٧١ عامًا في خانينوس: «أنا أحتاج إلى إذن من أبي وأمي، يجب أن يوافق كلاهما، وإذا لم يقبل، فلن أخرج». وقالت فتاة فتاة أخرى في مجموعة نقاش تركيزية في جباليا: «تسأل عائلتنا عن تفاصيل أصدقائنا - عناوينهم وأرقام هواتفهم وعائلاتهم...» وقالت فتاة تبلغ من العمر ٧١ عامًا مُرددةً ما يقوله مقدّمو الرعاية لها: «أنت الآن تبلغين من العمر ٧١ عامًا ويجب ألا تكوني خارج المنزل (فتاة مُراهقة، خانينوس، مقابلة فردية معمّقة). تُشير النتائج التي توصلنا إليها أيضًا إلى أن هناك نقصًا في التفاهم المتبادل بين المراهقين/ات ومقدّمي الرعاية لهم — الذين نادراً ما يفكرون في حق المراهقين/ات في المشاركة وحاجتهم إلى التفاعل مع أقرانهم. ونتيجة لذلك، أبلغ المراهقون/ات عن شعورهم بالوحدة والعزلة، كما لخصت فتاة أكبر سنًا في مجموعة نقاش تركيزية في مخيم الشجاعة: «لا يوجد أحد يستطيع أن يفهمنا في هذا الوضع، إلا الله. هو الذي يمكنه فقط أن يفهمنا، لكن البشر لا يستطيعون ذلك». وعلى الرغم من أن القيام بالأعمال المنزلية يمكن أن يساعد الفتيات في الحصول على الدعم من مقدّمي الرعاية لهن، إلا أن هذا يُشكّل فرصة ضائعة للمشاركة في الأنشطة خارج المنزل. وقالت فتاة تبلغ من العمر ٦١ عامًا في خانينوس في مقابلة مع شقيقتها: «يجب أن أشارك في الأعمال المنزلية، ليس لدي خيار آخر».

التحرش الجنسي

وتواجه الفتيات المراهقات الأكبر سنًا - على وجه الخصوص - قيودًا قوية في الوصول إلى الأماكن على أرض الواقع بسبب المضايقات في الشوارع من قبل الرجال والفتيان - مما يعزز مخاوف الآباء بشأن شرف بناتهم. يُقيد التحرش الجنسي حركة الفتيات خارج منازلهن؛ حتى لو لم يتعرضن له بشكل مباشر، فإن القصة التي يسمعنّها من الآخرين تكفي لغرس الخوف داخلهن - ليس فقط من التعرض للتحرش الجنسي، ولكن من اللوم والعقاب الذين قد يتآلهن من قبل أسرهن والمجتمع الذي يعيشن فيه. كما قالت فتاة أكبر سنًا في مجموعة نقاش تركيزية في جباليا: «تشعر النساء دائمًا بعدم الأمان أثناء الخروج بمفردهن، لأنهن يرغبن في حماية سمعتهن. كما أنهن يخشون أن يتم النظر إليهن على أنهن سيئات».

المدرسة هي من بين الأماكن العامة القليلة جدًا التي يُسمح للفتيات بالذهاب إليها في غزة، ولكن يمكن منعهن من الذهاب إليها بسبب المخاوف من تعرضهن للمضايقة في طريقهن إلى المدرسة. حتى مجرد القلق من أن ينظر إليها رجل يمكن أن يكون سببًا كافيًا للآباء أو الأشقاء الأكبر سنًا لجعل الفتاة تزك المدرسة، كما أوضحت فتاة أكبر سنًا في مجموعة نقاش تركيزية في جباليا: «تحدّثتُ إلى والدي عن المشاكل التي أواجهها بسبب الأولاد الذين اعتادوا إلقاء الرسائل [التي] كانت مكتوبة على الأوراق. وكان بعض الطلاب ينادونني ب «الفتاة العاشقة». غضبت مني والدي ومنعتني من الذهاب إلى المدرسة... ثم تزوجت مباشرة بعد أن تركت الدراسة ...»

نقص الموارد المالية

اتّضح أنّ الموارد المالية المحدودة تشكل حاجزًا رئيسيًا يمنع المراهقين/ات من الخروج من منازلهم والانخراط في الأنشطة المختلفة. قال صبي يبلغ من العمر ٦١ عامًا من مخيم جباليا: «تحتاج إلى حوالي ٠٢ شيكل [شيكِل إسرائيلي جديد وهو عملة إسرائيل] للقيام بزيارة أو حتى بالخروج! غالبًا ما يلتقي الأولاد بأصدقائهم في أماكن لا تتطلب المال - مثل الحي المحلي أو محلات السوبر ماركت أو الشوارع أو المنازل. وأشارت فتاة تبلغ من العمر ٩١ عامًا في خانونس إلى أنّ «الأولاد يقضون وقتًا أطول بكثير خارج بيوتهم بحيث يتسنى لهم لعب كرة القدم وزيارة الأصدقاء لأن هذه الأمور لا تتطلب موارد مالية». تتفق النتائج المستخلصة من مقابلات المسؤولين الرئيسيين مع استجابات المراهقين/ات، وتشير إلى أنّ المراهقين/ات من الأسر الفقيرة قد يختارون عزل أنفسهم عن الآخرين، في حين أنّ المراهقين/ات من الأسر الميسورة يمكنهم تحمّل تكاليف الاختلاط وتبادل الهدايا والاحتفال بأعياد الميلاد، كما قال مسؤول رئيسي من منظمة غير حكومية (NGO): «يمكن للأشخاص الذين لديهم موارد مالية أن يتدبروا أمورهم وأن يقوموا بزيارة الأماكن والمقاهي، في حين أنّ أولئك الذين لا يملكون ذلك المقدار من الموارد المالية يميلون إلى عزل أنفسهم».

كما أفاد المشاركون، فإنّ الموارد المالية المحدودة تشكل عائقًا أمام البقاء في المدرسة، مشيرين إلى أنّ الرسوم وتكاليف النقل والامتحانات والمواد المدرسية تتطلب مبلغًا من المال، كما أوضح صبي أكبر سنًا في مجموعة نقاش تركيزية في حي الشجاعية: «يجعلوننا نشترى الزي المدرسي والكتب... هذه الأشياء غالية الثمن. وههلوننا ثلاثة أيام فقط لشراؤها وإلا سيقوم المعلمون بضربنا. نُسلط الأبحاث الضوء على أنّ الشباب/ات في غزة، ولا سيّما أولئك الذين ينتمون إلى أسر فقيرة، لا يخرجون مع الأصدقاء أو يتواصلون اجتماعيًا في كثير من الأحيان - بنسبة ٣٣٪ بين الفتيان المراهقين و٤٦٪ بين الفتيات المراهقات - مما يعكس القيود الثقافية المفروضة على حركة الفتيات (بريزنتو وآخرون، ٢٠١٤).

نقص الخدمات والمساحات

كشفت عملية رسم خرائط الخدمة التي أجريناها أنّ هناك بعض الخدمات المتاحة لتحسين مشاركة المراهقين/ات (تتضمنها مؤسسات المجتمع المدني بدلًا من الحكومة) ولكنها تستهدف عادةً الأولاد وتميل إلى إشراك المراهقين/ات الأصغر سنًا فقط (مثل الألعاب الصيفية). قالت فتاة تبلغ من العمر ٧١ عامًا من مخيم جباليا: «لا توجد أماكن لنا. لا توجد مقاهي للإناث حيث يمكننا الاختلاط. في كل مكان، تجد الرجال فقط، حتى في متجر الملابس الداخلي... لا يوجد سوى الرجال ونشعر بالخجل من شراء الملابس الداخلية من هؤلاء الرجال. علاوةً على ذلك، لم يكن العديد من المشاركين على علم بمثل هذه الخدمات، كما قالت فتاة أكبر سنًا من مخيم الشجاعية، «لم أشارك أبدًا في مثل هذه الأنشطة الترفيهية... لأنني لا أعرف عن تلك الأماكن». وعلى الرغم من ذلك، أفاد عددٌ من المشاركين في الاستطلاع - وخاصة الفتيات - بعدم قدرتهم على الوصول إلى «المساحات الموثوقة» التي تديرها مؤسسات المجتمع المدني. ويرجع ذلك جزئيًا إلى محدودية البرنامج وبتد المسافة عن منازلهم. وذلك يؤدي إلى تقاوم مخاوف الوالدين بشأن سلامة أبنائهم (الفتيات بالأخص). وذكر آخرون أنّ البرامج غالبًا ما تكون

قصيرة جدًا وأن نوعية التدريب رديئة، مما يدفع آباءهم إلى سحب أبنائهم من تلك البرامج. كما رأى المشاركون في الدراسة أن النظام المدرسي غير مناسب ويتركز فقط على الأداء الأكاديمي.

المساحات المتاحة مقابل المساحات المحظورة

في حين يتم السماح للفتيات والفتيان بالذهاب إلى المدارس وبيوت الأقارب وأماكن العبادة وحتى برامج تمكين الشباب/ات، لا يزال بإمكان البالغين الذكور منعهم من الوصول إلى تلك الأماكن. يمكن التحكم في حرية حركة الفتيات من قبل إخوانهن، بغض النظر عن أعمارهن. ويتحكم الأولاد الأكبر سنًا في حرية حركة إخوانهم الأصغر سنًا. تمنع المعايير التي تميز بين الجنسين الفتيات في غزة من الوصول إلى الأماكن العامة مثل المقاهي ومراكز التسوق والنوادي الرياضية دون مرافق. ومع ذلك، يُسمح للأولاد بمزيد من الحرية في التنقل. وهذا يؤدي إلى توليد مشاعر سلبية، كما أوضحت فتاة أكبر سنًا في مجموعة مناقشة تركيزية في مخيم جباليا: «أشعر بالغضب والانتقاد، كما لو كان خطأي أنني مراهقة. كل شيء ممنوع، كل شيء محظور وما تفعله دائمًا يتم الإشراف عليه لأنك مراهق/ة». ومع ذلك، فإن القيود المفروضة على الأولاد تتعلق أكثر بالمكان الذي يريدون الذهاب إليه، ووقت العودة إلى المنزل، وطبيعة الأشخاص الذين يقضون الوقت معهم، كما أشار صبي يبلغ من العمر ٤١ عامًا من مخيم جباليا: «عرض أصدقاؤني اصطحابي إلى منتجع على الشاطئ. رفض والدي لأنه لم يكن معنا أحد من العائلة، خاصةً وقت الليل».

إن القيود المفروضة على حركة الفتيات تحرمهن من الحصول على الخدمات الصحية الأساسية. كما تواجه الشابات تحديات كبيرة في الحصول على خدمات الصحة الجنسية والإنجابية دون إذن الوالدين أو الأزواج، كما لاحظت إحدى الفتيات في مجموعة مناقشة تركيزية في مخيم الشجاعية: «حتى لو كانت الفتيات مصابات بالتهابات حادة [التهابات تناسلية]، فلن يسمحوا لها بالذهاب إلى الأطباء وسيعالجونها فقط بعلاجات المنزلية». أشار استطلاعنا أيضًا إلى أن ٢٢٪ فقط من المراهقين/ات أفادوا بأنهم يتحدثون إلى مقدم الرعاية الصحية حول القضايا المتعلقة بالبلوغ. وبسبب وصمة العار المحيطة باعتلال الصحة العقلية، ذكر المشاركون أن المراهقين/ات (وخاصة الفتيات) الذين يعانون من مشاكل نفسية اجتماعية أو عقلية هم أقل عرضة لأن يتم السماح لهم بالوصول إلى هذه الخدمات. وتتفق هذه النتائج مع أدلة أخرى تشير إلى أن الفتيات - على وجه الخصوص - محرومات من الوصول إلى خدمات الصحة النفسية في غزة بسبب الأعراف الثقافية السائدة (صامويلز وآخرون، ٢٠١٢).

عوامل تمكين حرية الحركة والمشاركة عند المراهقين/ات

تشير النتائج التي توصلنا إليها إلى أن عوامل التمكين لمشاركة المراهقين/ات تختلف حسب النوع الاجتماعي. فعلى سبيل المثال، إن مشاركة الفتيات مرتبطة بدوافع متأصلة وتطلعات عالية، وينتج استثمارهن الكبير في التعليم فرصًا أكبر للمشاركة. تعتبر الفتيات في غزة التعليم مفتاحًا لاستقلالتهن وتطورهن ونجاح حياتهن المهنية، كما يوضح الاقتباس التالي: «لن يكون هناك مستقبل لنا بدون تعليم» (مُقابله فردية مُعمقة، فتاة تبلغ من العمر ٣١ عامًا، مخيم الشجاعية).

وتقترح النتائج التي توصلنا إليها أن دعم الأسرة يلعب دورًا هامًا في تشجيع الفتيات على المشاركة، كما ذكرت فتاة تبلغ من العمر ٧١ عامًا: «إن أبي يستمع إلي ويراعي أي مخاوف عندي». إن قدرة الفتيات على التحمل، وعلاقتهم الجيدة مع آباءهم، واستخدامهن لأساليب ذكية في النقاش/المفاوضات مع مقدمي الرعاية لهن، وإمكانية وصولهن إلى منصات التواصل الاجتماعي تقلل من القيود المفروضة على تحركاتهن.

وتساعد حرية الحركة المسموح بها للأولاد على زيادة فرص مشاركتهم لأنهم أكثر قدرة على التفاعل مع أقرانهم في الحي الذي يعيشون فيه. كما أن لديهم حرية أكبر بكثير عندما يتعلق الأمر بالانخراط في الأنشطة الاقتصادية خارج الأسرة. كما كان بعض الأولاد يكونون أكثر ميلًا للتمرد ضد رغبات والديهم - وهو خيار غير متاح بشكل عام للفتيات. وكما قال صبي يبلغ من العمر ٨١ عامًا في مخيم جباليا: «أحيانًا لا يمنحني والدي الإذن، لكنني لا أزال أخرج على أي حال».

وأشاد الفتيان والفتيات المراهقون الذين انضموا إلى برامج التمكين بفوائد المشاركة فيها. كما أشار المشاركون في أنشطة التمكين والذين شاركوا في استبيان تم عمله من قبل فريق أبحاث النوع الاجتماعي والمراهقة: دليل عالمي (GAGE) إلى أن الميزة الرئيسية للمشاركة كانت ارتباطهم وتواصلهم مع البالغين (٤١،١٦٪). ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أنه خلال التقييم اللاحق للمشروع التجريبي، كان جميع المشاركين تقريبًا - في برنامج البحث التشاركي التجريبي في غزة - يُقدرون البرنامج تقديرًا كبيرًا وشعروا أن المشاركة في هذا البحث التشاركي قد ساهمت في تمكينهم.

الاستنتاجات

بشكل عام، تؤكد النتائج التي توصلنا إليها أن المراهقين/ات في غزة يواجهون تحديات متقاطعة تعيق مشاركتهم في الأنشطة خارج منازلهم. وهذه الحواجز متعددة الطبقات. وعلى الصعيد الكلي، يجتمع الصراع المستمر والحصار الإسرائيلي والكساد الاقتصادي وضعف أنظمة الحماية الاجتماعية لتكثيف القيود الثقافية المفروضة على حرية وأمان حركة الشباب/ات (ولا سيما الفتيات). وعلى المستويين المتوسط والجزي، يجد مستوى فقر الأسر والظروف المعيشية والأعراف الاجتماعية التمييزية والتسلسل الهرمي للعمر والنوع الاجتماعي - بشكل كبير - من إمكانية مشاركة المراهقين/ات في المجال العام. وينبغي معالجة الأسباب الجذرية لهذه الحواجز من خلال برامج متكاملة متعددة القطاعات يحكمها القطاع العام، الذي لا يفعل حاليًا سوى القليل جدًا في هذا الصدد. ومن الضروري إصلاح الروابط متعددة القطاعات لتعزيز المشاركة الفعالة للمراهقين/ات في المجتمع من خلال اعتماد نهج متكامل يشمل القطاعات ذات الصلة - لاسيما التعليم والحماية الاجتماعية ووسائل الإعلام والمعلومات والعمل والمؤسسات الدينية.

وسلطت الدراسة الضوء على الحواجز المترابطة التي تحول دون مشاركة المراهقين/ات في غزة والدور الحاسم للاضطرابات السياسية والممارسات الهيكلية والمعايير الجنسانية المحددة السباق في تقييد المشاركة المدنية للمراهقين/ات. وعلى الرغم من أن الجهات الفاعلة الإنسانية - وغيرها من الجهات - تركز بشكل مفرط على تلبية الاحتياجات الملحة والضرورة لسكان قطاع غزة، فلا يزال من المهم أن تتولى تلك الجهات أيضًا رعاية حقوق المراهقين/ات في المشاركة.

وللتعامل مع الحواجز التي تحول دون مشاركة المراهقين/ات، هناك حاجة إلى ما يلي:

- العمل من أجل تغيير اجتماعي تدريجي وتقديم تلبية الاحتياجات الفريدة للمراهقين/ات، وتعزيز معايير العمر والنوع الاجتماعي الأكثر مساواة والتي تخلق بيئة أكثر ملاءمة لمشاركة المراهقين/ات بشكل إيجابي في حياتهم الأسرية والمجتمعية؛ تطوير مبادرات لزيادة الدعم المقدم للمراهقين/ات من قبل مقدمي الرعاية (من في ذلك الآباء/الإخوة)، لاسيما فيما يتعلق بالممارسات الإيجابية لأولياء الأمور، ونشاطات دعم حقوق الأطفال وحمايتهم، والحوار بين الأجيال؛ توسيع نطاق مبادرات التمكين الناجحة مثل شبكة Y-peer (بدعم من صندوق الأمم المتحدة للسكان (UNFPA))، والمساحات الضديقة للمراهقين/ات في اليونيسف، وأبحاث العمل التشاركي التي يقودها المراهقون/ات ضمن مشروع أبحاث النوع الاجتماعي والمراهقة: دليل عالمي (GAGE)؛ إشراك المراهقين/ات ومقدمي الرعاية لهم في أنشطة تصميم وتنفيذ نهج الأقران الذي يعزز من مشاركة الشباب/ات؛ استخدام مجموعة من قنوات الاتصال، ولاسيما وسائل الإعلام الجماهيرية والاجتماعية، لزيادة الوعي بالخدمات المتاحة للشباب/ات؛ العمل مع المدارس لدعم الأنشطة الخارجة عن المناهج الدراسية مثل البرلمان المدرسية والمحيطات الصيفية والأنشطة الترفيهية والاجتماعية والرحلات التعليمية.

المراجع

- Abu Eqtaish, E. (2019) Joint alternative report to the State of Palestine's initial report to the Committee on the Rights of the Child. Children's Rights in Palestine. 83rd session of the Committee on the Rights of the Child, 3-7 June 2019. Defense For Children International – Palestine, General Palestinian Union of Persons with Disabilities – Bethlehem Branch, Health Work Committees, Juzoor for Health and Development, Palestinian Counselling Centre, QADER for Community Development, Teacher Creativity Centre, The East Jerusalem YMCA Rehabilitation Program, Women's Affairs Technical Committee
- Abu Hamad, B. (2021) 'No-one should accept a miserable life like that!' Opportunities for reducing violence against adolescent refugees in Gaza' in N. Jones, K. Pincock and B. Abu Hamad (eds.) Adolescents in humanitarian crisis: displacement, gender and social inequality. Bristol UK: Routledge
- GAGE consortium (2019) Gender and adolescence: why understanding adolescent capabilities, change strategies and contexts matters. 2nd edn. London: Gender and Adolescence: Global Evidence
- Jones, N. and Abu-Hamad, B. with Plank, G. (2016) Women and power: how women leaders negotiate Gaza's political reality. London UK: Overseas Development Institute

- Ministry of Health (2020) Annual health status report. Gaza: Ministry of Health
- Ministry of Health (2021) Detailed report on the Israeli aggression on the Gaza Strip. Gaza: Ministry of Health
- Palestinian Authority (2004) Palestine Child Law No 7.
- PCBS – Palestinian Central Bureau of Statistics (2016) Palestinian youth survey, 2015: main findings. Ramallah: PCBS
- PCBS (2019) Preliminary results of the violence survey in Palestinian society 2019. Ramallah: PCBS
- PCBS (2021) Palestinian multiple indicator cluster survey 2019–2020: survey findings report. Ramallah: PCBS
- Perezniето, P., Jones, N., Abu Hamad, B. and Shaheen, M. with Alcalá, E. (2014) Effects of the Palestinian National Cash Transfer Programme on children and adolescents: a mixed methods analysis. London: Overseas Development Institute and UNICEF
- Pettit, J., Presler-Marshall, E. and Abu Hamad, B. (2017) Adolescent girls in Gaza: the state of the evidence. London: Gender and Adolescence: Global Evidence
- Ruiz-Casares, M., Collins, T., Tisdall, E. and Grover, S. (2017) 'Children's rights to participation and protection in international development and humanitarian interventions: nurturing a dialogue' *The International Journal of Human Rights* 21(1): 1–13
- Samuels, F., Jones, N. and Abu Hamad, B. (2017) 'Psychosocial support for adolescent girls in post-conflict settings: beyond a health systems approach' *Health Policy and Planning* 32(suppl 5): V40–V51
- UNFPA (2016) Palestine 2030. Demographic change: opportunities for development. Palestine: UNFPA and Prime Minister's Office
- UNICEF (2017) Adolescent and youth strategic engagement framework. New York: UNICEF
- UNICEF (2018) Children in the State of Palestine. Palestine: UNICEF
- Berents, H. and McEvoy-UNICEF (2022) Adolescent participation and civic engagement: when adolescents contribute to social change, entire communities benefit (www.unicef.org/adolescence/participation)
- United Nations (1989) Convention on the Rights of the Child. New York: United Nations
- United Nations (2019) Committee on the Rights of the Child: initial report submitted by the State of Palestine under article 44 of the Convention